Issn:2572-0023

المسيرة النضالية للمجاهد للشيخ محمد الدراجي ميهوبي (1906-1963م)

أ/عبد العزيز راجعي و.أ/ياسين حمودة

جامعة قسنطينة02

مقدمة :

منذ أن وطأة أقدام الإحتلال الفرنسي أرض الجزائر وعملت على سلب السيادة وحرية الشعب ومكتسباته من خلال سياساتها الإستعمارية، العسكرية، السياسية، الدينية، والثقافية.....إلخ، وقد كان لها الشعب الجزائري بالمرصاد ، إستمرت المقاومة وإشتدت وتنوعت، سواء من خلال المقاومة السياسية (الحركة الوطنية) أو من خلال المقاومة العسكرية (ثورة أول نوفمبر 1954م). فكان لهذه المقاومة وتلك شخصيات جزائرية وطنية كافحت وجاهدت وضحت بما لديها من نفس ونفيس، فأصبحوا روادا للحرية ومثلا للصمود والتضحية، فمنهم الشهيد والمجاهد، الأديب، المفكر، العالم، والممرض...وجميعهم وغيرهم كثر سواء كانوا دعاة إصلاح أو ثوريين...فالكل عقدوا العزم أن تحيا الجزائر حرة مستقلة. فمن الجحود اليوم أن نتجاهل جهود هؤلاء، والواجب يحتم علينا التعريف بهم وتتبع بصماتهم و الإشادة بإنجازاتهم .

ومنطقة عين الخضرة كغيرها من مناطق المسيلة عاصمة الحضنة[1] أنجبت ثلة من الرجال العظماء الذين سجلوا حضورهم في سجل تاريخ أحداث الحركة الوطنية و ثورة التحرير الوطني. وحملوا على عاتقهم مسؤولية الإصلاح والكفاح في نفس الوقت من أجل مجابهة السياسة الإستعمارية وبراثينها في المنطقة. وأملا منا في إنارة بعض الجوانب من تاريخنا المحلي الحافل بالبطولات العظام، ونفض الغبار عن بعض رجلاته جاء إختيارنا لشخصية

1 – الحضنة: هي تلك الهضبة الكبيرة التي تقع في مؤخرة مقاطعة الجزائر وقسنطينة على مسافة 145كلم جنوب ساحل المتوسط، وهذه الهضبة سميت فيما مضى من طرف العرب بالحضنة، كانت تابعة لمقاطعة الزاب تشكلها المنطقة الشمالية وكانت عاصمتها الإدارية سطيف بموريطانيا السطايفية (Procop, de Bello Vandalio, Lib II,cap XX). حيث يمثل إقليم الحضنة منطقة متميزة بمظهرها = الطوبوغرافي والجغرافي والمحصور بين سلاسل جبيلة برزت من خلالها صفة الإحتضان وهي مصدر تسميته باسم الحضنة، تسمية نجدها ترتبط أكثر بمجال الروابط الإجتماعية والإقتصادية التي عاشتها المجموعات البشرية المحيطة بمدينة المسيلة، وليس إلى حدود سياسية أو إدارية. للمزيد أنظر:=

بيرم كمال، الاحتلال الفرنسي وتطور القيادة بالحضنة– دراسة وثائقية في الاحتلال والمقاومة وتطور القيادات الأهلية (1838 – 1954م)، دار الأكاديمية، الجزائر، 2013، ص13. و: Despois.J, le hodna(algerir), PUF,Paris,1953,pp6-11

المجاهد: محمد الدراجي ميهوبي، أحد الرموز الإصلاحية و الثورية في المنطقة حيث كان ينشط في الولاية التاريخية الأولى، وعليه نتساؤل: **كيف كانت المسيرة النضالية للمجاهد محمد الدراجي ميهوبي خلال فترة الإحتلال ؟**

نسبـه :

هو محمد الدراجي ميهوبي بن محمد المبارك بن السعيد بن الميهوب بن المدني بن محمد المبارك بن يحي بن محمد بن أحمد بن أبو القاسم بم محمد بن عيسى بن علي بن الطاهر بن العربي بن عبد العزيز بن مروان بن موسى بن عبد العزيز بن يوسف بن الطاهر بن أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه). وهذا نسب يكاد يجمع عليه نسابة سيدي أحمد حول هذا الترتيب، مع إحتمال وجود خطأ في التسمية بين : أحمد ومحمد، أو ربما وجود قفز على إسم أو إثنين بسبب التشابه في التسمية. كما أن خلاصة المقارنة التي أجريت بين المصادر الثلاث التي تناولت هذا النسب أفضت إلى هذه الشجرة[1]. وعليه ومن خلالها يتبين أن أسرة الشيخ من الأشراف[2].

مولـده ونشأته :

ولد المجاهد محمد الدراجي ميهوبي سنة 1906م[3] بمنطقة عين الخضراء. في وسط أسرة متواضعة كباقي الأسر تعتمد على الأعمال الفلاحية البسيطة، عرف أفراد أسرتها وإشتهروا بحفظ القرآن وتلاوته. وعين الخضراء هي إحدى بلديات مقرة التابعة لولاية المسيلة، وتبعد عن مدينة بريكة بـ: 60 كلم، وعن مدينة مقرة بـ:15 كلم. لأبيه محمد المبارك وأمه فاطمة بنت العموري، وقد أختير له إسم محمد تيمنا بإسم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

بدأ محمد الدراجي ميهوبي حياته بتعلم القرآن الكريم حتى أتم حفظه وهو في الثانية عشر من عمره، فقد كان والده مؤدبا للصغار، ومهتما بكتابة المصاحف والعناية بالرسم العثماني، وهذا ما جعله وبطلب من أبيه

1 – عز الدين ميهوبي: محمد الدراجي عالما مصلحا.. مجاهدا ثائرا، منشورات دار المعرفة، الجزائر، 2013، ص22.

2 – حفناوي بعلي: قصيدة "حيزية" قراءة سيميائية في شعرية العشق والموت، الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عنابة، (د. ت)، (د. ص).

3 – عز الدين ميهوبي: المصدر السابق، ص198.

إعادة و إستضهار القرآن الكريم وتكراره خمس مرات حتى يرسخ في ذهنه، فكان عونا له في تخطي الصعاب، ثم ما لبث أن أصبح الإبن مساعدا لأبيه في تعليم القرآن لأبناء القرية [1].

تزوج محمد الدراجي ثلاث مرات، الأولى عام 1933 من الزهرة بنت العيد سعداوي، التي انجبت له ذكورا وإناثا. أما الذكور فهم على التوالي : جمال الدين، عبد العزيز (شهيد)، رشيد، الأمير، عبد الكريم، عبد الحفيظ، عبد الناصر، عبد الحكيم...أما البنات فهم: مي (مية)، الويزة، وردة، جميلة، مليكة. والملاحظ هنا انا الشيخ كما قيل أنه كان دائما يحرص على إنتقاء الأسماء الجميلة وذات الدلالات لأبنائه.

تزوج الشيخ مرة ثانية من عائشة إبنة عمه وأنجبت له وردة لكنه طلقها فيما بعد لأسباب غير معروفة.ثم تزوج الثالثة وهي فاطمة بنت الشيخ محند أمزيان قبل عامين من إندلاع الثورة 2.كما إتصف الشيخ بالشجاعة الأدبية، قول الحق والمجاهرة به، قوة التحصيل العلمي، إتقانه للغة العربية، مالك في الفقه، مؤمن بالثورة إيمان العاجز الذي لايقبل المساومة فيه. كما انه كان يمتاز بقوة بدنية كبيرة 3.

السعي في طلب وتحصيل العلم :

لقد عرف على المجاهد محمد الدراجي ميهوبي أنه إنسان تواق للإستزادة وتحصيل مختلف العلوم من الشريعة ومبادىء اللغة العربية. لأجل هذا سافر إلى زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة[4]، التي درس فيها عدة مواد نذكر منها: الرسالة لأبي زيد القيرواني، ومختصر خليل في الفقه، ومتن إبن عاشر في التوحيد والعبادات، ومتن الجرومية في النحو، والمنظومة الترحبية في علم الفرائض، وكذا متن الأزهرية.وكان هذا التلقي على يدي مجموعة من المشايخ من بينهم الشيخ محمد الدراجي نكوري (1892– 1957م)، والشيخ عبد الله الخذري.

1 – عز الدين ميهوبي: المصدر السابق، ص206.

2 – المصدر نفسه ، ص ص 68– 73

3 – نفسه، ص74.

4 – زاوية علي بن عمر: تقع زاوية الشيخ علي بن عمر الرحمانية في مدينة طولقة الشهيرة بمركزها الفلاحي الهام، وبتمورها المختلفة ذات المذاق الطيب، وبالأخص تمرها الممتاز الذي إشتهر عالميا بدقلة نور، وتقع طولقة شمال غرب مدينة بسكرة وهي تابعة لهذه الولاية. تنسب الزاوية إلى مؤسس الطريقة الرحمانية الشيخ محمد بن عبد الرحمن. كما إشتهرت هذه الزاوية بنشر الثقافة العربية الإسلامية وغيرها من الأعمال الصالحة في سبيل خدمة المجتمع الجزائري في عصور الحالكة من تاريخيه كي يبقى محافظا على عروبته وإسلامه في الوطن العربي الجزائري. للمزيد أنظر: صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخيها ونشاطها، دار البرق، بيروت– لبنان، 2002، ص ص 392– 394. وأيضا سليمان الصيد: تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة، الجزائر، (د ت)، مقدمة.

وعند بلوغه السن العشرين من عمره إستدعي مثل باقي شباب المنطقة إلى التجنيد الإجباري[1] في صفوف الجيش الفرنسي سنة 1926م، حيث قضى مدة 18 شهرا بفرنسا تعلم خلالها بعض أبجديات اللغة الفرنسية أعانته فيما بعد على فك رموز كلماتها، وكتابة بعض الرسائل الضرورية.

عاد سي الدراجي ميهوبي إلى أرض الوطن عندما أنهى الخدمة العسكرية بفرنسا، وكله شغفا ورغبة في إكمال مسيرته العلمية، حيث شد الرحال إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة مثل باقي الشباب الجزائريين. غير أن رطوبة الجو وضيق ذات البين أسباب أعاقته ومنعته من مواصلة الدراسة، فعاد إلى بلدته من جديد بعد أن مكث بتونس عدة شهور. بعدها وفي سنة 1928م سافر إلى مدينة العلم قسنطينة لنهل شتى العلوم والدروس على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس[2] بالجامع الأخضر، حيث مكث بها أربع سنوات كاملة كلها جهد و إجتهاد ومثابرة[3]نال بها وتشبع بمختلف الدروس ذات القيم والمبادىء العلمية العميقة والتوجيهات المسداة التي تدعو إلى النهوض بالأمة الجزائرية نهضة أخلاقية كما تدعوا أيضا إلى تهذيب المجتمع على أساس العلم والدين وتوعية الشعب لمعركة الإستقلال .

من بين الكتب العلمية التي كانت مُصدرة ومدعاة لهكذا مبادىء وقيم وأخلاق نذكر: متن الألفية لإبن مالك، رسالة الزنجاني في الصرف، متن قطر الندى لإبن هشام، شرح إبن عقيل، العاصمية، و متن الامية بالإضافة إلى دروس أخرى في التفسير للشيخ عبد الحميد بن باديس[4].بفضل هذه المكتسبات العلمية أصبح محمد

1 – التجنيد الإجباري: خاضع للمرسوم 31 جانفي 1912م الداعي إلى تجنيد الجزائريين المسلمين، وقد عدل شروط الإنضمام إلى الجيش ونسبة العلاوات. وقد أقر مرسوم 03 فيفري 1912 «تجنيد الأهالي الجزائريين وأنشأ عروضا خاصة بعلاوات ومنح». كان المجندون يختارون عن طريق القرعة، ويعملون بالجيش مدة ثلاث سنوات عوض إثنين مقابل منحة 250فرنك. بلغ عدد المجندون الى غاية 01 أوت 1914، 82751 مجندا و 87519 عامل و 2479 إحتياطي و هو ما يعطي مجموع 173019 جندي مساعد. للمزيد أنظر: محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919–1939، تر: أمحمد بن البار، ج01، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 36.

2 – عبد الحميد بن باديس: ولدعبد الحميد بن باديس سنة 1308 هـ الموافق لـ 1912م،والده محمد المصطفى من أكابر– أعيان قسنطينة ولما كبر تعلم فيها، وحفظ القرآ نالكريم، وأخذ عن علمائها، منهم الشيخ حمدان لونيسي .انتقل بعد ذلك الى جامع الزيتونة المشهور بتونس. وهنالك أتم دراسته، وتخرج بشهادة التطويع سنة 1912م، بعدها رجع إلى الجزائر وأسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. للمزيد أنظر: فركوس صالح: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية 1954– 1962، مجلة العلوم الإنسانية، مج أ، ع28، جامعة قالمة، الجزائر، ديسمبر 2007، ص 266.

3 – بيرم كمال: الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الإحتلال الفرنسي (1840– 1954)، اطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، د. صالح لميش، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة منتوري – قسنطينة، 2010– 2011، ص 433.

4 – عز الدين ميهوبي: المصدر السابق، ص207.

الدراجي ميهوبي يتمتع بمستوى دراسي عالي ومقدرة ثقافية واسعة، وهذا ما لمسه الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا الأخير، فأوعز إليه رفقة بعض الطلبة النجباء من بينهم: الفضيل الورثلاني، محمد المليانى، عيسى الدراجي، بلقاسم الزغداني بمساعدته في مهمة التدريس بجامع سيدي قموش بقسنطينة، حيث كلفه رفقة زميله الشيخ عيسى الدراجي يحياوي بوضع جداول للفرائض للإستعانة بها في الفصل بين المتخاصمين بقسنطينة. ومن بين الطلبة الذين درسوا وإستفادوا من علمه على سبيل المثال: الشيخ أحمد حماني[1].

بالإضافة إلى هذا تم تعينه عريفا على الطلبة الوافدين من منطقة بريكة- أولاد دراج- ولاية المسيلة. ومجموعة اخرى لباقي المناطق نذكر منها: كافي البشير، صالح اليدري، العربي كبيش، المسعود الريغي، إسماعيل الحيدوسي، محمد المليانى، الفضيل الورثلاني، محمد الدراجي.

محمد الدراجي ميهوبي إمام ببلدية إينوغيسن :

بعد ثلاث سنوات من التدريس بمسجد سيدي قموش، وبطلب من أعيان الأوراس الذين وفدوا إلى قسنطينة من بينهم عمار بن حمزة، والشيخ المقدم محمود بن صالح، الذين إلتقوا الشيخ عبد الحميد بن باديس وطلبوا منه تعيين إمام ومدرسا للقرية، فابتسم الشيخ قائلا لهم: « **لقد إخترت لكم رجلا ذا كفاءة علمية، وهو صاحب هراوة وقراوة... وهو من أولادداج الذين لا يختلفون عن الشاوية في النيف والرجولة، وأنا قررت أن أعين لكم أحد المعينين لي الشيخ محمد الدراجي، فإذا رضيتم به، فإنه لن يتردد، كما أعرفه، في خدمة العلم والدين والوطن** » قالوا : « **ما جئناك إلا لأننا نثق بك، ونعم من إخترت لنا**» أما رد الشيخ على طلبهم هذا فكان كمايلي: « **نحن خدام هذه الأمة فلو قلت لي إذهب إلى حيث لا شجر ولا حجر، فلن أعترض** »[2]، وبهذا تم تعيين محمد الدراجي ميهوبي معلما من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس بالمدرسة الحرة التي أسستها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ببلدية إينوغيسن بالأوراس[3]. و إنتقل رفقة عائلته لمباشرة مهامه الجديدة

1 – حداد أحمد: الشيخ أحمد حماني وقضايا عصره 1333- 1419هـ/ 1915- 1998م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، د.بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري- قسنطينة، 2007- 2008، ص 40.

2 – عز الدين ميهوبي: المصدر السابق، ص ص 95- 96.

3 – اينوغيسن بلدية في دائرة إشمول بولاية باتنة الجزائرية انبثقت عن التقسيم الإداري 1985 عدد سكانها 3484 نسمة.(2008) تأسست بها شعبة لجمعية العلماء المسلمين وكان من العلماء الذين درسوا فيها الشيخ سي محمد ميهوبي الدراجي والشيخ سي عبد الحفيظ بلمكي الخنقي والشيخ ميلود الزريبي ومن بعدهم الشيخ غرابي مبارك والشيخ سعودي مبارك والشيخ سي محمد علاوي حيث كانت هذه =المدرسة منارة للعلم ويعود الفضل

كمدرس وإمام بالمسجد المحاذي للمدرسة، يؤدي رسالته التربوية إلى غاية 1939 تاريخ بداية الحرب العالمية الثانية، ليستدعى مرة ثانية للتجنيد الإجباري والسفر إلى فرنسا، حيث مكث بها مدة ستة أشهر[1]. ليعود بعدها لمزاولة مهامه التدريسية والتربوية التي كان يحضرها والده محمد المبارك رفقة الطلبة وخاصة منها دروس الفقه في الفترة مابين (1939- 1941) إلى غاية سنة 1946. حيث تغيرت الأوضاع ، وظهر شباب يرفضون المدارس التقليدية، ويدعون إلى إنشاء مدارس عصرية على النمط الفرنسي، فأختلف معهم الشيخ عاقدا العزم على الرحيل إلى وجهة أخرى فكانت بلدة الحجاج، رغم الإلحاح الذي لاقاه من طرف أعيان المنطقة هذا من جهة من جهة أخرى فقد الشيخ أمه التي كانت مقيمة معه.[2]

لم يكن خيارا آخر أمام الشيخ الذي كرس حياته في محاربة الشعوذة والتدجيل والخرافات، وسدا منيعا في وجه التبشير ودعوات الإنسلاخ. ولعل هذا ما سبب له أيضا مشاكل أخرى تضاف للتي ذكرناه سابقا المضايقات الإستعمارية، حيث أصدر الحاكم منعا من طرفه ضد الشيخ محمد الدراجي رغم أنه معين من طرف جمعية علماء المسلمين، بهدف تشتيت أعضاء الجمعية بعد أن صب عليهم عقوبات مالية متنوعة لكنه لم يفلح، فقد لاقى إحتجاجا من طرف الأعضاء ضد هذه التصرفات الغاشمة والمظلمة، معلنين تضامنهم وتعلقهم مع الشيخ لدى نائب العمالة، وعبروا له عن عدم إمكانية العيش في قريتهم في ظل المعاملة السيئة، من إعتداء عليهم وعلى شعائرهم الدينية وضد محاكمة معلمهم بباتنة، لولا ان العدالة انصفته وطهرت جانبه من كل التهم الموجه إليه [3].
أما الشيخ فكان يرد ويحتج على هذه التهم ويعبر عن مواقفه بطرق شتى من بينها جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين حيث جاء في إحداها قائلا: « **إلى مسيو بلوم رئيس الوزراء إلى وزير الداخلية مسيو سارو نحن أعضاء الجمعية الدينية المؤسسة بنوغيسنا دوار زلاطو كومين أريس نحتج بكل قوانا ضد القرار الوزاري الصادر يوم: 20 يناير 38 في شأن الجمعيات المرخص لها عام 1901 وضد كل تغيير يمس**

لها في غرس حب العلم وكان لها الفضل في توجيه العديد من شباب البلدة الي المدرسة البادسية في قسنطينة منهم الشهداء الصادق بوكريشة وعاشوري عمار والشيخ درنوني. أنظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا: إينوغيسن
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D9%8A%D9%86%D9%88%D8%BA%D9%8A%D8%B3%D9%86=، 2015/11/22.

1 – عز الدين ميهوبي: المصدر السابق، ص208.

2 – المصدر السابق، ص97.

3 – شعبة جمعية العلماء: أحاديث جمعية العلماء وحوادثها، جريدة البصائر، ج03، ع 50، دار الغرب الإسلامي، 25مارس 1938، ص 128.

الديانة الإسلامية كما أننا نشارك في الإجتماع الذي سيعقد بالعاصمة إتجاه كل أمر يمس يديانتنا لا نقبله »[1] . وبهذا يمكن القول بأن الشيخ محمد الدراجي ليس فقط مصلحا دينيا وإنما رجل إدارة وقانون (سياسي).

محمد الدراجي ميهوبي معلما ببلدة الحجاج :

بعد قسنطينة ثم بلدية إينوغيسن يواصل الشيخ محمد الدراجي ميهوبي مسيرته العلمية تاركا بصماته حيثما إحتل وإرتحل، ففي سنة 1947 تحول الشيخ إلى مدرسة الحجاج بدائرة إيشمول إحدى دوائر ولاية باتنة، وتبعد عن بلدية إينوغيسن بحوالي 15 كلم. وحل بها مناضلا ومعلما، ناشرا الفضيلة، الأخلاق، وباعثا الروح الوطنية في نفوس المواطنين من جهة، ومحاربا لكل أشكال البدع والخرافات من جهة ثانية. وقد دام مكوثه بها إلى غاية تدمير القرية بالكامل وسجن إمامها من طرف المستعمر الفرنسي بعد تفجير ثورة نوفمبر 1954 الذي دام أسبوعين، ليطلق سراحه نتيجة الإحتجاجات التي قام بها سكان القرية ويلتحق مباشرة بمدينة أريس وأقام عند الشيخ محمد الأمير صالحي أحد معلمي مدارس جمعية علماء المسلمين بهذه المدينة. وهنا نسجل إحدى جزئيات السياسة الفرنسية المتمثلة في الأرض المحروقة، وذلك بتدمير القرى والمداشر ناهيك عن القتل والتشريد والتعذيب، التي إحتضنت المجاهدين وعرفت عمليات عسكرية إنتقاما لشرف فرسنا. ومقابل هذا يكون الإصرار وعدم الإستسلام من لدن الأهالي، فالشيخ محمد الدراجي ميهوبي لم يستلم وواصل مسيرته النضالية متحديا كل الصعاب.

محمد الدراجي ميهوبي مربيا وفقيها :

لقد نهل الشيخ الكثير من العلوم وصار لديه رصيد كبير خاصة فيما تعلق بالعلوم الشرعية والفرائض على مذهب الإمام مالك بن أنس الأمر الذي أهله للقيام بدور الفقيه والفصل في مسائل عدة بين المتخاصمين عبر مناطق كثيرة خاصة منها الشرق الجزائري.فحسب رواية أحد تلاميذه بمدرسة الحجاج الشيخ محمد الطاهر عزوي فإن محمد ميهوبي كان يتنقل بين حلقات المساجد والأسواق الأسبوعية – سوق يوم الثلاثاء بدوار إيشمول – حاملا معه كتاب "متن العاصمية" في قلنسوة برنوسه ويفتي للعامة، وذلك لمدة ثماني سنوات. ونتيجة لهذا النشاط الديني الإصلاحي تقدم القاضي الفرنسي المدعو سي بلقاسم السوفي بشكوى ضده إلى حاكم حوز أريس لأنه تسبب له في ضائقة مالية، فالقاضي الفرنسي كان يحصل على مرتبه من طرف المتخاصمين في المحكمة الفرنسية

1 – محمد الدراجي: إحتجاج، جريدة البصائر، ج 03، العدد112، دار الغرب الإسلامي، 06 ماي 1938، الجزائر، ص 184.

بأريس والتي عزف الجزائريون على اللجوء إليها وفك مشاكلهم وقضاياهم الإجتماعية المختلفة وفضلوا القضاء الجزائري وهذا نتيجة إنتشار الوعي السياسي والإصلاحي في منطقة الأوراس[1].لقد أصبح محمد الدراجي ميهوبي يعاني ظروفا صعبة نتيجة نشاطه الديني والإصلاحي في آن واحد، وعليه قررت الجمعية في جانفي 1955 نقله إلى بلدة سيقوس الواقعة بين مدينتي أم البواقي والخروب للتدريس بمدرستها الحرة، حيث مكث هناك لمدة أربعة أشهر، تحول بعدها إلى مدرسة سيدي عيش بالقرب من مدينة بجاية وأكمل بها السنة الدراسية 1955. ليتم نقله من جديد إلى مدرسة البويرة التي درس بها إلى غاية شهر أفريل 1956 وهو تاريخ غلق هذه الأخيرة من طرف المستعمر الفرنسي، الأمر الذي أجبره على العودة رفقة أسرته إلى مسقط رأسه بعين الخضراء، ويلتحق بالعمل الثوري بجبل قديل ولسانه حاله يردد هذه الأبيات الشعرية [2]:

خـض في الجزائر ثورة حمــراء ودع المدارس والكـتاب وراء

ثر غاضبا في وجه من سلب البلاد حقـوقها وأضماها وأســاء

لتكـن مدارسك الجبال فدرسُها أجدى وأرسخ في الحياة بـقاء

ليس الشهادة صفحة تحـظى بـها إن الشهادة مـوتنا شهــداء

الإلتــحاق بالثــورة :

لم يقتصر عمل وجهاد الشيخ محمد الدراجي ميهوبي في المجال العلمي والتربوي فقط، بل كان له عمل ثوري موازي وهي خصال ومبادىء قل وجودها، كما أنها تحتاج إلى شخصية قوية تتمتع بالإرادة والعزيمة وتتشبع بالعلم والقيم الدينية و الأخلاقية ، فعندما إنتهت أحداث 8 ماي 1945 عاد الشيخ إلى بلدة إينوغيسن لمواصلة عمله ونشاطه هناك، وإستغل هذه المناسبة الأليمة لتأجيج الوعي بالحرية، والتأكيد على ضرورة توحيد الصف لمواجهة المستعمر الفرنسي، وهذا بتذكير الناس بتلك التضحيات التي لايجب أن تذهب سدى من خلال الخطب والمجالس الدينية [3]، ومن خلال تشكيل خلايا ثورية، مهمتها إشاعة الروح الوطنية، والتحضير لتعبئة واسعة لهذه المواجهة[4].

1 – عز الدين ميهوبي: المصدر السابق، ص209.

2 – المصدر نفسه ، ص210.

3 – نفسه، ص 106.

4 – نفسه، ص 104.

لقد كان الشيخ نضال سياسي سابق للعمل الثوري تمثل في على إتصال بمناضلي منطقة الأوراس، أمثال سي الحواس وعباس لغرور ومصطفى بن بو العيد، حيث كان يتبادل معهم الأخبار وتحليل ما يرد في مختلف الصحف من جهات عديدة، وفسر هذا التواصل لدى الناس على أنه راجع لمكانة الشيخ ليس إلا. كما أنه جعل من مسكنه مخزنا للسلاح وتجتمع به الخلايا الأولى للنضال بقيادة الصادق شبشوب، المكي بن عيسى، علي بن درنون وغيرهم من الأبطال. ورغم محاولات الفرنسية لإضعاف حركة التمرد لهؤلاء المناضلين إلا أنها فشلت، وتواصلت هذه الحركة إلى غاية إندلاع الثورة [1].

إلتحق الشيخ محمد الدراجي ميهوبي بصفوف حركة إنتصار الحريات الديمقراطية عقب أحداث 8 ماي 1945، وإشتد نشاطه مما شكل مصدر إزعاج للسلطات الإستعمارية بمنطقة الأوراس، فضيقت عليه وعملت على إبعاده عن المنطقة بآساليبها الدنيئة، حيث سلطت عليه عقوبة عشرة آلاف فرنك فرنسي بحجة عدم إمتثاله للسلطات الفرنسية، وأصروا على ترحليه، وما كان من الشيخ أن رفع أمره إلى الشيخ عبد الحميد إبن باديس الذي طمأنه ووعده بحل مشكلته، فأتصل بأبيه مصطفي بلمكي، وطلب منه التدخل لدى والي قسنطينة، لوقف الإستفزازات الفرنسية ضد الشيخ محمد الدراجي ميهوبي والإساءة إليه. فما كان من الحاكم أن إتخذ قرار يقضي بتحويل الجماعة التي ناصبت العداء له إلى بسكرة[2].

لم تقتصر مهم الشيخ ببلدة الحجاج على التدريس والعظة فقط، بل كان النضال الثوري متواصل وموازي لمهمة الإصلاح، حيث قام بتشكيل أكثر من عشرة خلايا في مختلف الجهات القريبة من قرية الحجاج، مهمتها تحضير ما هو مادي من أسلحة وذخيرة ومؤن، و ما هو معنوي تمثل في نشر وتوزيع البيانات المحرضة على الثورة، وكان هذا بالتنسيق مع مناضلي الحركة الوطنية. وقد ترأس الشيخ خلية بلدة الحجاج وكان يجتمع بأعضائها بصورة دورية ليلا، في بيته وفي أماكن أخرى متفق عليها مسبقا[3] .ونتيجة لتبنيه العمل الثوري المسلح، قامت القوات الفرنسية بمهاجمة بيته وتدميره بعين الخضراء كاملا، وإستولت على جميع ممتلكاته من امتعة ومواشي ومبالغ مالية، ناهيك عن تعرض أفراد أسرته لعمليات الإستنطاق والتعذيب، وسجن البعض منهم.ونظرا لما إمتاز به من سمعة طيبة وتفاني كبير ومميز في خدمة القضية الجزائرية عين مسؤولا في أفريل 1956 إلى بداية 1957م[4]، عن اللجنة

1 – عز الدين ميهوبي، المصدر السابق، ص104.

2 – المصدر نفسه، ، ص105.

3 – نفسه، ص 109.

4 – نفسه، ص 116.

المحلية لعين الخضراء بتزكية من مسؤولي الناحية : عبد الحفيظ طورش، احمد بلعربي بولقواس، بلقاسم شنوف، كما عين مسؤولا عن لجنة العدالة والتحكيم بمنطقة المسيلة وبريكة بأمر من الرائد محمد العموري، ليصدر قرار آخر بعد إنعقاد مؤتمر الصومام 20 أوت 1956، يقضي بتعيينه قاضيا[1] بالقسمة الثالثة الناحية الرابعة من الولاية الأولى [2].

إلقاء القبض على الشيخ محمد الدراجي ميهوبي :

تعرض المجاهد محمد الدراجي ميهوبي إلى الإعتقال مرتين من طرف المستعمر الفرنسي، كانت الأولى ليلة نوفمبر من سنة 1954، حسب شهادة المجاهد الطيب غقالي أن سي الدراجي هو من قام بقراءة بيان توزيع الأسلحة على المجاهدين الأوائل في دشرة أولاد موسى وذلك بحضور القائد مصطفى بن بو لعيد، وتبعه موعظة مؤثرة حول الجهاد في سبيل الله وفي سبيل تحرير الوطن، لرفع من معنويات الجنود والرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

وفي يوم الرابع عشر من شهر نوفمبر 1954، ألقت القوات العسكرية الفرنسية القبض عليه، وقادته إلى المكتب الثاني بباتنة متهمة إياه بالتحريض على الثورة والجهاد في سبيل الله لما وجدوه معه من وثائق ذات صلة

1 – القضاء: لقد كان لثورة التحرير الجزائرية الأثر البارز في تغير جوانب عدة مست مجالات مختلفة، منها ماتعلق بالتشريعات الفرنسية في المجتمع الجزائري، ودورها في تعميق جذور الإستعمار وطمس معالم العدالة السائدة والتشريعات السابقة لتلك الفترة، وكخطوة اولى عمدت إليها قيادة الثورة هي إحداث هيكل وتنظيم جديد يدعى بالقضاء الثوري، بغية قطع صلة الشعب بالسلطات الإستعمارية، فكونت لجان القضاء منتخبين من أفراد الشعب مهمتهم الفصل في القضايا المدنية والجزائية. للمزيد أنظر: وزارة المجاهدين: أعمال الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية، جامعة المير عبد القادر، قسنطينة، ايام 16– 17 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص ص199– 200

2 – الولاية الأولى: يقع مقر الولاية الأولى بغابة البراجة (كيمل)، يضم عدة مراكز يتراوح عددها بين 06 إلى 07 تنتقل حسب الظروف في جبل كيمل، حيث تعاقب على قيادة هذه الولاية العديد من الشخصيات الثورية نذكر في مقدمتها مصطفى بن بو العيد، محمد لعموري، أحمد نواورة، الطاهر عبيد و الطاهر الزبيري . قسمت الولاية الأولى إلى مناطق وكل منطقة إلى نواحي، والناحية بدورها مقسمة إلى قسمات.فمنطقة المسيلة الشرقية كانت واقعة في إقليم الناحية الرابعة (بريكة) من المنطقة الأولى للولاية الأولى، في القسمتين الثالثة و الرابعة، مقسمة كالآتي:

الناحية الرابعة: بريكة

القسمة الأولى: نقاوس، أولاد رحاب، أولاد عوف، أولاد فاطمة، أولاد سي سليمان، أولاد بشنية بن عبد الله.

القسمة الثانية: بريكة، الجزار، القصبات، المتكعوك.

القسمة الثالثة: برهوم، مقرة، عين الكلبة (عين الخضراء حاليا)، سلمان، الطلبة، الشرفة.

القسمة الرابعة: المعاضيد، الزيتون، المطارفة، مزرير، مسيلة، براكتية. للمزيد أنظر: المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير الجهوي للولاية الأولى لأحداث الثورة التحريرية 1959–1962، ج1، 1987/07/14، باتنة، ص ص 03– 04.

بالعمل بالتحضير للثورة، ولحسن حظه أستطاع أن يقنع الضباط الفرنسيين أنها مجرد حروز وأوراق لها صلة بالدين وبمعتقدات الناس الروحية، فأطلقوا صراحه [1].

أما الإعتقال الثاني فكان بعد توقيف القتال بيومين 21 مارس 1962، كون الشيخ لا يزال يمارس مهامه كقاضي، وقد حاولت السلطات الفرنسية القبض عليه لكن دون جدوى. كان هذا بمدخل بلدة برهوم رفقة المجاهد بلعكري بحجة أن بنود إتفاقية إيفيان تمنع المجاهدين من التقرب من المراكز العسكرية القريبة من الطريق الوطني ب:02كلم، وتم نقله إلى مدينة باتنة للإستنطاق وقد جرد من سلاحه. كما أنه إعترف بالتهم التي نسبت إليه، وبانه هو من كان يلقي الخطب ويحرض ويدعوا للجهاد ومحاربة القوات الغازية إلى غاية تحقيق النصر وتحرير أرض الوطن من الأيادي الغاصبة، وأنه سيبقى وفيا لهذه المبادىء[2].

وفاة المجاهد محمد الدراجي ميهوبي :

خير الشيخ والمجاهد محمد الدراجي ميهوبي غداة الإستقلال بطلب من القيادة السياسية في البلاد بين مواصلة التعليم في المدراس أو العمل السياسي في صفوف جبهة التحرير الوطني، أو التفرغ للإمامة، فكان إختياره للإمامة.

وبغية تسوية بعض المسائل العالقة سافر خصيصا إلى محكمة نقاوس لإنهاء بعض القضايا التي هي في طور الدراسة. ثم عاد بعد تصفية هذه الأمور راجعا إلى مدينة بريكة ليلا، راكبا دراجة نارية رفقة سائقها لنقص المواصلات، وعند مفترق الطرق المؤدي إلى بلدة سفيان وبريكة، وعلى الساعة العاشرة ونصف ليلا سقط أرضا فأغمي عليه، وعلى إثر هذا الحادث نقل إلى مستشفى باتنة أين لفظ آخر أنفاسه في الساعة الخامسة من يوم: 05 مارس 1963، ووري الثراء في موكب حزين ومهيب بمسقط رأسه، وقام بتأبينه زميله الشيخ محمد الأمير صالحي والشيخ أحمد يحياوي بالإضافة إلى مجموعة من إطارات الحزبية والسياسية [3]، فرحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

الخاتمــة :

1 – عز الدين ميهوبي: المصدر السابق، ص111.

2 –عز الدين ميهوبي: المصدر السابق ، ص ص 111– 112.

3 – المصدر السابق، نفسه ، ص112.

الشيخ محمد الدراجي ميهوبي كغيره من رجلات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين شغل فكرهم هموم ومعاناة المجتمع وحب الوطن الجزائري، في فترة زمنية تعد الأسود في تاريخ هذا الوطن الحبيب. وبدافع الواجب الديني والوطني وإيمانا منه بعدالة القضية ووحدة المصير المشترك، شق طريقه نحو النضال متحديا كل الصعاب .

فمن أجل القضاء على الجهل والبدع والخرافات ونارة عقول المجتمع الجزائري، والتصدي للسياسة الفرنسية الإدماجية والتبشيرية أصبح عالما ومصلحا وإماما ومربيا ومدرسا للعلوم العربية والشريعة، ومن أجل نشر العدل و المحافظة على المقومات الشخصية الوطنية و الهوية العربية أصبح قاضيا همه الوحيد الفصل في شؤون الناس وقضاياهم والتعريف بحدود شرع الله وفك الخصومات وغيرها، ووضع حد للسلطة القضائية الفرنسية وجورها تجاه المواطنين ورفض العبودية والتكبيل. و من أجل تجسيد الهدف الأسمى وهو تحقيق الإستقلال وطرد المحتل متحديا الموت والتقتيل، أصبح مجاهد وثائرا في وجه المستعمر الفرنسي ووضع يده في أيدي زعماء ثورة نوفمبر 1954 أمثال: مصطفى بن بو العيد، عباس لغرور.....إلخ. من أجل هذا وذاك لم يدخر العالم والمصلح والمجاهد الشيخ محمد الدراجي ميهوبي جهدا ولا مالا، فعلم وتعلم وقاوم وصبر وناضل، وصال وجال في ربوع الأوراس الشامخة ومنطقة القبائل رفقة عائلته، من مسقط رأسه ببلدة عين الخضراء بالمسيلة إلى طولقة، جامع الزيتونة بتونس، فقسنطينة مدينة العلم، ثم بلدة إينوغيسن، فبلدة الحجاج، فبجاية. هي إذن مسيرة كلها شقاء وعناء، شكلت له زادا علميا وثراءا معرفيا فحُمل المسؤولية لكونه من العرفاء بمواطن الداء، فحاز بذلك إحترام الكبير قبل الصغير، ولم يستسلم حتى بزغ فجر الإستقلال فخابت آمال فرنسا وتحققت آمال الجزائريين على يد هؤلاء وغيرهم من العضماء. الذين كانوا خير خلف لخير سلف، والحقيقة أنه مهما كتبنا وكتبنا فلن نقدم ولن نفي حقهم نظير ما قدموه لنا وللوطن.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بعلي حفناوي: قصيدة " حيزية " قراءة سيميائية في شعرية العشق والموت، الملتقى الثالث السيمياء والنص الأدبي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عنابة، (د. ت)، (د. ص).

2. سليمان الصيد: تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة، الجزائر، (د ت).

3. قداش محفوظ: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919- 1939، تر: أمحمد بن البار، ج01، دار الأمة، الجزائر، 2008.

4. كمال بيرم، الاحتلال الفرنسي وتطور القيادة بالحضنة- دراسة وثائقية في الاحتلال والمقاومة وتطور القيادات

الأهلية (1838 – 1954م)، دار الأكاديمية، الجزائر، 2013.

5. المنظمة الوطنية للمجاهدين: التقرير الجهوي للولاية الأولى لأحداث الثورة التحريرية 1959-1962، ج1، 1987/07/14، باتنة.

6. ميهوبي عز الدين: محمد الدراجي عالما مصلحا.. مجاهدا ثائرا، منشورات دار المعرفة، الجزائر، 2013.

7. مؤيد العقبي صلاح: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخيها ونشاطها، دار البرق، بيروت- لبنان، 2002.

8. وزارة المجاهدين: أعمال الملتقى الوطني حول القضاء إبان الثورة التحريرية، جامعة المير عبد القادر، قسنطينة، ايام 16- 17 2005، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

المراجع باللغة الفرنسية :

1. Despois.J, le hodna(algerir), PUF,Paris,1953,pp6-11

الرسائل الجامعية :

1. حداد أحمد: الشيخ أحمد حماني وقضايا عصره 1333- 1419هـ/ 1915- 1998م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، د.بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري- قسنطينة، 2007- 2008.

2. كمال بيرم ،الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الإحتلال الفرنسي (1840-1954)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، د. صالح لميش، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة منتوري – قسنطينة، 2010- 2011.

المقالات:

1. الدراجي محمد: إحتجاج، جريدة البصائر، ج 03، العدد112، دار الغرب الإسلامي، 06 ماي 1938، الجزائر.

2. شعبة جمعية العلماء: أحاديث جمعية العلماء وحوادثها، جريدة البصائر، ج03، ع 50، دار الغرب الإسلامي، 25مارس 1938.

3. صالح فركوس: دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة الجزائرية 1954- 1962، مجلة العلوم الإنسانية، مج أ، ع28، جامعة قالمة، الجزائر،